مَعالمُ الحضارةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ
في إفْرِيقيَة

د . محي الدّين صابر

المدير العام للمنظمة العربية للتربيــة والثقافة والعلوم

١ ـ تمهيـد :*

يستدير قرن من الزمان ، شهدت فيه الانسانية وقائع غير مسبوقة في تاريـخ البشرية ، لا كما ولا كيفا ، فالتطور الاجتماعي والطفرة العلمية والتكنولوجية ، والآثار المترتبة على هذا كله في مختلف مجالات الحياة ، وما يترتب عليه من نتائج ، كلها أمور هي فوق قدرة التنبؤ الانساني . وقد شهدت افريقيا ، في هذا القرن أحداثا ، أفضت الى تغيير نوع الحياة فيها تغييرا اساسيا . فافريقيا شهدت في هذا القرن ، الاستعباد الكامل ، ثم عاشت الصراع والنضال وأدركت الحرية ، وفقدت الكثير ، واكتسبت الكثير ، ولسنا هنا بصدد تقويم ما حدث ، فما الذي يمكن أن نفعل في هذه المناسبة اذن ؟. . ان التاريخ من حيث هو عمل انساني ليس ظاهرة مجانية،وليس صدفة ولكنه واقع اجتماعي له منطقه ، ومهما يكن من أمر فان قيمة التاريخ هي في قدرته على توجيه صناعة التاريخ في المستقبل .

ومن هنا رأيت انه خير من الخير ، ان نتجه في هذا العرض الى مناقشة بعض المفاهيم المتصلة بموضوع : « الحضارة العربية الاسلامية في افريقيا » الى التاريـخ المستقبلي لهذه الحضارة في افريقيا والى القضايا والمشكلات التي تحيط بالموضوع.

٢ ـ الحضارة العربية :

الحضارة العربية ، كانت ابدا حضارة متنوعة ، عضويا ، ومنفتحة علىحضارات

---

* ألقي ملخص هذا البحث في المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، دمشق ١٦ـ٢٢ جمادي الاخرة ١٤٠١ هـ/٢٠ ـ ٢٦ نيسان ١٩٨١ م .

العالم وظيفيا متفاعلة معها ، مانحة ومتقبلة ، فقد عرف العرب في جنوب الجزيرة الحضارة الزراعية المتقدمة وحياة الاستقرار ، وفي الشمال مارسوا الرعي ، والفوا حياة البداوة . وتقاسمت حضارة العرب وسائل النقل ، فللعرب في البحر خبرة ، ولهم بالصحراء بصر ، فكانت سفنهم في البحر وقوافلهم في الصحراء تصلهم بمن حولهم ، وهكذا عادت الموانع الطبيعية بالنسبة اليهم وسائل اتصال ، فاحتكروا وسائل المواصلات ، وسيطروا على التجارة الدولية ، فكانوا على علاقة خارجية دائمة ،وكان لهم دورهم السياسي في ميزان القوتين الكبيرتين آنذاك ، الفرس والروم .

وقد ظلت اللغة العربية ، المظهر الحضاري المشترك بينهم . ولما كرمها الله ، فأنزل بها كتابه القديم ، القرآن الكريم اجتمعت به لهجاتهم وتوحدت به عقيدتهم فكان ذلك منعطفا تاريخيا في الحضارة العربية ، والانسانية معا ، ذلك أن اللغة العربية اصبحت وعاء الدين الاسلامي ، وتحمل العرب مسؤولية الدعوة اليه ، ومسؤولية الجهاد في سبيل نشره في الخافقين . وقد افضى هذا الى تبدل اساسي في الحضارة العربية ، في مضمونها الجديد ، مما ادى الى تغييرات جوهرية في البناء الاجتماعي العربي الجديد ، من حيث التوزيع السكاني ، وتقسيم العمل ، والعلاقات الاجتماعية وفي الدور والمكانة الاجتماعيين ، وبهذا لم تعد اللغة العربية ، هي لغة العرب وحدهم، بل أصبحت لغة المسلمين ، كل المسلمين ، فالاسلام أنزل للناس كافة ، والقرآن نزل بلسان عربي مبين ، وهكذا التقى المسلمون والعرب لقاء متكافئا ، فاتسع بذلك نطاق الحضارة العربية اجتماعيا اتساعا كبيرا ، واستقبلت روافد جديدة .

٣ ـ الحضارة العربية الاسلامية :

وهكذا نشأت الحضارة العربية الاسلامية ، في صورتها الجديدة في ظل الاسلام الذي هو نظام حضاري متكامل وشامل ، انزله الله هدى للناس ورحمة ، وهو آخر الرسالات السماوية التي أتم بها الله نعمته على الانسان خليفته في الارض ، وحمله بها المسؤولية الانسانية ، وبلغ رسوله الكريم محمد بن عبد الله صلوات الله عليه الرسالة فأداها أمينا ، وانشأ مجتمعا انسانيا ، تسوده العدالة والمساواة ، وفي ظل الحضارة العربية الاسلامية انتقلت البشرية نقلة حضارية نوعية ، فتحت طريق التقدم البشري .

ومهما يكن من أمر ، فان الحضارة العربية الاسلامية وان كانت هي سعي المجتمع الاسلامي ، من كل عرق، فانها حضارة يجمعها بالعروبة نسب عضوي ، من حيث أن اللغة العربية هي وعاء الفكر الاسلامي ، وبها تتم الواجبات الدينية الاسلامية

الفردية والجماعية ، وفي ظل الاسلام نمت الثقافة العربية وأصبحت لغة العالم المتقدم في العصر الوسيط ، وعلى الرغم من الاوضاع السياسية للشعوب الاسلامية ، فان التراث العربي الاسلامي يعتبر تراثا لا مثيل له في أمة من الامم التاريخية ولقد اغنى الثقافة العربية غنى لا فقر بعده .

٤ ـ الحضارة العربية الاسلامية والافريقية :

ظلت افريقيا ذات صلة قديمة بالحضارة العربية قبل الاسلام بقرون ، فهي جغرافيا ، موصولة براً وبحرا بالامة العربية، فكان البحر الاحمر ممرا دائما يصل بين جنوب الجزيرة وشرق افريقيا ، كما كانت الرياح الموسمية بين الخليج العربي وشرق افريقيا وسيلة طبيعية ومثالية لسيولة التعامل التجاري على ان العرب قد وجدوا طريقهم الى شمال افريقيا ، واستقروا في واحاتها وبواديها منذ وقت مبكر .

ان هجرة اوائل المسلمين من مكة نجاة من أذى مشركي قريش الى الحبشة ، تعبير عن التبادل الاجتماعي بين العرب والافارقة ، الذين كانوا قد اختلطوا من قبل تجاريا وسياسيا وفكريا ، وتعاونوا ، وتنافسوا وتصارعوا ، وتسالموا وتحالفوا ، فافريقيا ، كانت اكثر المناطق تعاملا مع المجتمعات العربية ، ولم تتصل افريقيا في كل اجزائها بالعالم الخارجي أكثر مما فعلت مع العرب، ولم تتوحد افريقيا في تاريخها الى اليوم حول عقيدة واحدة ولغة واحدة ، الا تحت الثقافة العربية الاسلامية .

فقد كان العرب سادة البحار حول افريقيا ، حتى ان المكتشف البرتغالي الشهير فاسكودى غاما ، اتخذ البحار العربي ، وعالم البحار احمد بن ماجد دليلا له ، فاعانه على الابحار في شواطىء افريقيا . وهكذا فان الافارقة لم يتأثروا في حياتهم ، كما تأثروا بالحضارة العربية الاسلامية ، ولقد كانت افريقيا حتى مطلع القرن العشرين ، تعتبر نفسها ، قطعة من العالم العربي الاسلامي ، سياسيا وثقافيا ، فقد ظلت مركزا هاما من مراكز الثقافة العربية الاسلامية . ففي تومبكتو وحدها ، فيما يعرف الان بجمهورية مالي ، كان في القرن السادس عشر ، اربع جامعات عربية اسلامية ، وخرجت العلماء الاجلاء الذين اغنوا الفكر الاسلامي ، واللغة العربية ، بمخلفاتهم التي تزخر بمخطوطاتها المكتبات العالمية، مثل أحمد باباالمعروف بعالم التكرور وصاحب كتاب « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ومثل الحاج عثمان دان فوديو ، في كانو . وما يزال فيها الى اليوم علماء اجلاء ، في شمال نيجيريا بصفة خاصة ، في العلوم الاسلامية والعربية .

وقد ظلت الصلة الحميمة بين المؤسسات العلمية في اقصى القارة الافريقية وبين علمائها ، وبين المؤسسات العلمية والعلماء المسلمين في المغرب ، وفي مصروفي الحجاز ، متصلة وقوية ، فكانوا يتبادلون الرسائل والفتاوى والزيارات مع كثير من علمائها أمثال الامام الشيخ جلال الدين السيوطي والشيـــخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المغربي .

كذلك ، فلقد تأثر فن العمارة في غرب افريقيا ، بالنمط العربي الاندلسي في بناء قصور الملوك والجوامع والمساجد ، وفي شرق افريقيا بالنمط الخليجي الذي جاء من عمان ، والذي يقوم دليلا حيا ، حتى الان ، في الصومال وتنزانيا ، وكينيا ، في الاثار الكثيرة القائمة هناك .

وعلى نفس المستوى من العلاقة فان اللغات الافريقية عرفت الكتابة لاول مــرة عن طريق الحرف العربي ، وهناك نحو من ثلاثين لغة افريقية، لها تاريخفي هذاالحرف.

هذا وقد تأثر الافارقة في مذهبهم الديني بالمغرب والمشرق العربيين معا ، فهم جميعا يكادون يكونون سنيين ـ مالكيين الا عددا من الاباضيين في شمال افريقيا ، وفي غربها ، كذلك فان هناك بعض الذين يتبعون المذهب الشافعي في شرق افريقيا وهم في ذلك متأثرون ببعض جهات اليمن ، وكلهم سنيون . وقد تبنى الافارقة كذلك الطرق الصوفية المنتشرة في المشرق العربي مثل القادرية والاحمدية والشاذلية ،على ان بعض هذه الطرق نشأت في افريقيا ، مثل التيجانية والسنوسية والميرغنية . وكان لهذه الطرق ، دور كبير في نشر الاسلام ،وقد تصدى بعضها لمقاومة الاستعمارالاوروبي في القرن التاسع عشر ، ومطلع القرن العشرين ، وما يزال دورها كبيرا ، بين الجماهير الافريقية ، حتى اليوم ، فهي الرابطة الشعبية القومية بين المجتمعات الاسلامية هناك، فأتباع الطريق الواحد ، يعيشون في اخوة وثيقة ، ويكونون مجتمعا واحدا .

ولقد اهتم المؤرخون العرب منذ وقت مبكر بافريقيا ، وكتبوا عنها كتابات وثيقة، مثل المسعودي وابن حوقل ، وياقوت ، والبكري ، وابن بطوطة ، والحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الافريقي ، والقلقشندي ، وابن خلدون ، وعبد الرحمـــن السعدي ، وغيرهم كثيرون . ومنهم من تجول فيها وعاش بين مجتمعاتها ، فكانت معلوماتهم مباشرة ، وميدانية .

وهنا ينبغي ان نسجل ظاهرة بارزة ، وخصوصية حضارية ، هي انه لم تظهر في افريقيا منذ تلقت الرسالة الاسلامية والثقافة العربية ، اتجاهات عنصرية ، ولا

محلية ، بل كان هناك توحيد مطلق ، وتكامل حقيقي ، وتفاعل عضوي بين الحضارة الاسلامية ، والحضارات الافريقية ، بل ان الافريقيين وحدوا بين الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، وكانوا يرون انه من تمام الاسلام ، الانتساب الى العروبة ولهذا فاننا نجد كثيراً من الجماعات والافراد منهم يصلون انسابهم بالعرب ، ونجد من كبار العلماء والقادة وبخاصة في نيجيريا ، وفي غرب افريقيا من ينتسب الى السلالة النبوية ، وهذا يدل على الاعتزاز بهذهالحضارة التي وجدوا فيها حقيقتهم ، وانه من العسير ان يقوم مثل هذا الاتجاه ، بين المسيحيين الافريقيين ، مهما بلغت درجة ثقافتهم الاوروبية ، او تدينهم ، فليس بينهم ، من يدعي أنه جزء من التكوين البشري الاوروبي ، واذا فعل ، فلن يجد من يصدقه ،وانما يجد من يسخر منه ، فيقول : انكليزي اسود ، أو فرنسي اسود . أما في ظل الاسلام ، فقد كان يقبل انتسابه الى العرب ، يقبله الافريقيون ويقبله العرب اجتماعيا ، وبصورة طبيعية . بل ما هو وضع الافريقي الذي يولد من ام افريقية وأب اوروبي اليوم ، فهو وان كان يحمل الجنسية السياسية الاوروبية ، الا ان له اسما خاصا هو « الهجين » ، وهو لقب أقرب الى السخرية ، فهو فوق الافريقي قليلا ودون الاوروبي كثيرا ، فوضعه الاجتماعي غير محدد ، وقد تكونت من هؤلاء طبقة جديدة ، في مختلف القارات ، لا نكاد نجد لها انتماء اجتماعيا واضحا .

٥ـ افريقيا الاسلامية والعربية :

ان افريقيا ، كانت تطلق في الكتابات العربية القديمة على تونس اما القارة الافريقية كما تعرف ، الان ، فانها أصبحت وطنا تاريخيا وجغرافيا للكثرة الكاثرة من شعوب الامة العربية دولة ، ودينا ولغة ، فهناك تسع دول من أعضاء جامعة الدول العربية في افريقيا ، ويناهز السكان العرب ثلث سكان القارة ، ففيها حوالي ٨٠٪ من سكان الوطن المغرب العربي ، واللغة العربية هي أكبر اللغات القومية فيالقارة التي تتكلم بها مجموعة ثقافية واحدة ، بما في ذلك اللغات الاوروبية . وقد جاء في ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ، ان اللغات الرسمية للعمل في المنظمة هي اللغات الافريقية والانكليزية والفرنسية ، وحين اقترح احد الزعماء الافارقة ، تخصيص اللغة العربية والنص عليها باعتبارها اكبر لغة قومية في افريقيا ، راي احد الزعماء العرب الاكتفاء بالنص المقترح اصلا ، على اعتبار ان اللغة العربيةانماهي لغة افريقية

وهكذا كان .. فثبت بذلك حقيقة تاريخية وحضارية ، بوعي وادراك عميق لحقيقة العلاقات العربية الافريقية(١).

وافريقيا التي نتحدث عنها في هذا السياق ، انما هي الدول الوطنية التي تقوم في غرب ووسط وجنوب افريقيا من السكان الافريقيين ... والتي ينتشر الاســـلام فيها انتشارا واسعا .

ان رابطة الدين بين الافارقة المسلمين ، وبين العرب ، رابطـة عميقة وهي بطبيعتها رابطة تمتد الى العروبة ، فاللغة العربية هي اداة العبادة الدينية والقرآن الكريم هو كتابهم ، وما تزال مكاتب تحفيظه قائمة في كل القرى ، وفي كل المدن في المناطق الاسلامية ، يحفظونه ويكتبونه ، وان كانوا لا يفهمونــه لتجهيلهــم المخطط باللغة العربية .

هذا ،وقد ظل الافارقة ، وخاصة المسلمين منهم ، يقفون مع القضايا العربية دوليا وفي مقدمتها قضية فلسطين .

فهذه الرابطة الروحية لها على العرب حقوق ينبغي ان تؤدى ، والى جانــب ذلك ينبغي ان تنمى عن طريق العون الثقافي والاقتصادي والتعاون السياسي ، وينبغي كذلك ان تدرس القضايا المتصلة بذلك ، دراسة موضوعية ، وان يتصدى لها ، بالحلول من خلال استراتيجية عربية اسلامية .

٦ ـ القضايا الافريقيــة :

اصبحت افريقيا اذن في ظل الاسلام امتدادا جغرافيا ، وتاريخيا ، وثقافيا للوجود العربي الاسلامي ، بصورة غير مسبوقة في حياتها ، لا حجما ولا نوعا ، وقامت في كل انحائها ، غربها وشرقها ، ووسطها ، وشمالها ، الدول الاسلامية والمدن التاريخية والجامعات والمراكز الثقافية العربية الاسلامية ، واصبحت اللغة العربية هي لغــة السياسة والفكر والتجارة واصبح الدين الاسلامي هو الدين السائد ، وكان هناك ستة وثلاثون طريقا بريا عبر الصحراء الكبرى ، تربطها بالوطن العربي في انحائــه

---

(١) الزعيم العربي هو : الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان الرئيس احمد سيكوتوري ، اقترح افراد اللغة العربية والنص عليها اشادة بالدور العربي في نضال الشعوب الافريقية ، وفي انشاء المنظمة. (محمد فائق) عبد الناصر وافريقيا .

المختلفة ، ولم تكن هناك مؤسسة تجارية كبرى في المغرب ولا من مدن الصحـــراء العربية ، الا وكان لها فروع في قلب افريقيا ، وذلك فوق الطرق البحرية على شاطىء البحر الاحمر والملاحة الموسميةعن طريق الخليج العربي والبحر الهندي من عمـــان والعراق على شواطىء شرق افريقيا ، وقامت المستقرات العربية الثقافية والتجارية في شرق افريقيا وفي وسطها .

وحين بدأ الاوربيون منذ القرن الخامس عشر يقتربون من الشواطىء الافريقية قاومهم العرب ، وصمد العمانيون بوصف خاص ، في وجههم ، قرونا ينازلونهم ، وقد أوقع الاسطول العربي بهم أكثر من هزيمة ، وطردهم من شرق افريقيا واجلاهم عن مواقعهم مرات ، وكان للعروبة والاسلام وجود افريقي قادر في كل بقعة من افريقيا ، حتى القرن التاسع عشر ، في سلسلة من الممالك التي أقامهـا الافريقيـون ، وكان للعمانيين وجود امتد من شواطىء كينيا وتنزانيا حتى قلب افريقيا ، وفي كل مكـان وصل اليـه الاوربيون آنذاك ، كانوا يجدون المستقرات العربية ، فالبلجيكيون حين وصلوا الى الكونغو وجدوا المستقرات العربية المنتشرة حول البحيرات الكبرى ، في صلة مع النظم العربية الافريقية في زنجبار ، ولم يتيسر لهم اخضاع المنطقة الا بعد الغدر بزعماء العرب وعلى رأسهم الحاج البهبهاني ، وامتد النفوذ العربي الى الجزر الافريقية خارج القارة ، فكان للعرب المسلمين مستقرات في جزر القمر ، تستمد وجودها الشرعي من السلطان العربي في زنجبار ، وقد ظل النفوذ العربي هناك حتى الستينات من هذا القرن حتى تم الاتحاد بين هذه الجزيرة ، التي لعبت لقرون دورا هاما في مسيرة العلاقات العربية الاسلامية الافريقية ، وبين تنغانيقا بعد استقلالها ليقوم اتحاد جمهورية تنزانيا. فالتأثير العربي الاسلامي،شمل كل نظام الحياة الافريقية في العقيدة وفي الاقتصاد وفي نمط الحياة الاجتماعية وفي التقاليد والعادات ، وما يزال المسلمون حتى اليوم يعرفون بملابسهم العربية ، والقارىء لرحلة ابن بطوطـة ، في القرن الرابع عشر الميلادي يدرك في وضوح ان البيئة الافريقية ، تأثرت بالبيئة العربية الاسلامية وعاشت حضارة نمت نموا طبيعيا في مناخ ايجابي تلقاها برضىوتكاملمعها.

ففي ظـل اللقـاء العربي الاسلامـي الشامـل ، حققت افريقيـا وجودهـا الحضاري الكامل والمتميز ، وحملت اضافتها الى الحضارة العالمية عن طريق اللغة العربية والفكر الاسلامي ، وأقامت الاسس التاريخية للدول الافريقية ، بعد ان عاشت حضارة قبلية ضيقة ، ومعزولة قبل تلقي التأثير العربي الافريقي .

ومن الظواهر المعبرة أن الدول الافريقية الحديثة حين استقلت من الاستعمار الاوروبي عادت الى احياء أسماء الدول الاسلامية كغانا ، ومالي اعتزازا بالتراث

الافريقي ، ذلك التراث الذي يشكل وحده،الشخصية الافريقية،والحضارة الافريقية الشاملة التي صنعها الافريقيون على اساس انساني ، وفي صورة جماعية وفي صلة مع حضارة من اعظم الحضارات العالمية ، هي الحضارة الاسلامية العربية . وقد حدث هذا الاتجاه الى الاعتزاز بالماضي على اساس حضاري ، وليس على اساس ديني « فنكروما » الذي غير اسم ساحل الذهب ، الى غانا ، كان مسيحيا ،معتزا بالتراث الافريقي .

٧ ـ افريقيا والاستعمار والمقاومة :

وفي عهد الاكتشافات البحرية ، وعصر البارود الاوروبي وعصر التجارة الشرقية، ونمو الطبقة البرجوازية ، وامتداد الكنيسة الكاثوليكية ، كانت افريقيا الهدف القريب لاوروبا ، فاصابها من الاستغلال الاوروبي الكثير من النكبات ، فكان الاوربيون يطوفون حول شواطئها دون التجرؤ الى التوغل فيها ، وبدأ الاستنزاف البشري الذي لا مثيل له في التاريخ عن طريق الخطف والصيد البشري ، حين ابتدع الاوروبيون ونظموا تجارة الرقيق التي أصبحت التجارة الاوروبية الاولى ، خلال اكثر من قرنين من الزمان ، نقلوا في خلالهما من افريقيا الى مزارع القارة الجديدة في امريكا الشمالية والجنوبية ، ما يزيد عن مائة مليون افريقي في ظروف غير انسانية ، حتى ان بعض هؤلاء الضحايا كانوا يؤثرون الموت غرقا ، يقذفون بانفسهم في عرض المحيط ، نجاة من العذاب الذي كانوا يلقونه ، وهم مقيدون كالحيوانات في سفن القراصنة . وفي كتب الغربيين انفسهم ، وبشهادتهم تقوم الادلة على هذه الجريمة الانسانية البشعة(١) .

وحين كسدت هذه التجارة، ليس لاسباب انسانية كما يدعون ، وليس لان رجال الكنيسة أو السياسيين والمفكرين الاحرار في أوربا وامريكا ، كان لهم دور مؤثر في هذا كما يزعمون ، ولكن لاسباب متصلة بالتكوين الاقتصادي الاوربي نفسه ، وذلك بنشوء الصناعات في شمال امريكا ،واحتياج تلك الصناعات الى عمال لا يقاضونهم اجرا عاليا ، اتجهوا الى الرصيد البشري الذي يعمل في مزارع الجنوب من العبيد الضحايا فكانت معركة بين نظام الانتاج الزراعي ، والانتاج الصناعي .

حينئذ اتخذت عملية تحرير العبيد صورة سياسية عنيفة ، واحيطت باعتبارات انسانية ، وبقيم اخلاقية ، لا ينكر أحد فضلها وأهميتها ، ولكن ينبغي أن يكون في اعتبار الدراسة الجادة لهذه الحركة ، ان هناك عاملا اقتصاديا ثابتا ، هو الصراع بين

---

(1) S. Mintz, **Esclave, facteur** de production, Bordas, Paris 1981

نوعين من الانتاج الاقتصادي ، الانتاج الزراعي ، والصناعي ، وان قضية اليد العاملة الرخيصة التي تتمثل في العبيد الافريقيين ، كانت من محاور ذلك الصراع .

وحين كسدت تجارة الرقيق فكر الاوروبيون في اقتحام القارة ، والاستيلاء على ثرواتها الطبيعية مباشرة ، بعد ان استنفدوا استغلال الثروة البشرية ، أو كادوا، وبدأت المقاومة الافريقية منذ القرن الثامن عشر وبلغت مداها في القرن التاسع عشر وفي النصف الاخير منه واستمرت في مطالع القرن العشرين . وهنا يبرز دور الحضارة العربية الاسلامية في الصور الرائعة من النضال والجهاد ، فقد قاد الافريقيون الدفاع عن وجودهم الحضاري ، سياسة وعقيدة وثقافة . وقائمة المجاهدين والمقاتلين طويلة، ونكتفي هنا بنماذج معروفة عالميا فالامير عبد القادر في الجزائر ، والحاج عمر تالي في غرب افريقيا والحاج عثمان دان فوديو ، في وسط افريقيا والشيخ عبد الله الحسن في شرق افريقيا الصومال ، كلهم نماذج من الفداء والعطاء ، تصدوا تحت راية الاسلام والعروبة لاسلحة الدمار الاوروبية الحديثة وكلفوا المعتدين ثمنا غاليا من الضحايا ، هذا الى جانب ما قامت به ثورة المهدي في سودان وادي النيل ،والتي وصلت الى اعماق افريقيا ، ونضال رابح الزبير ، ضد الاستعمار الفرنسي في الكمرون وتشاد دفاعا عن الاسلام والعروبة ، وما قامت به الحركات السنوسية التي كانت مراكزها الدينية ، وزواياها العربية الاسلامية تمتد على طول الصحراء الكبرى ، والسودان الاوسط والتي كانت مراكز مقاومة للاستعمار حتى مطلع القرن العشرين ، والشهيد عمر المختار في ليبيا والامير عبد الكريم بطل الريف في المغرب الى آخر القائمة المشرفة ..

فالدفاع عن الحقيقة الافريقية ، وعن الاصالة الافريقية تم تحت راية الاسلام والعروبة ، واصبح السعي الافريقي جزءا من الحضارة العربية الاسلامية ، ورافدا حيا من روافدها الكبيرة .

٨ ـ افريقيا واوروبا :

تم تقسيم افريقيا ، في مؤتمر برلين الشهير عام ١٨٨٥ واصبحت كلها تحت النفوذ السياسي والحربي المباشر .

وهنا وجد الاستعمار نفسه وجها لوجه امام القوة العربية الاسلامية ، وهي القوة الاجتماعية المتقدمة التي قاومت الاستعمار الاوروبي في كل انحاء القارة ، وقادت الثورات ضد وجوده .وقد تمثلت المشكلة اولا في العقيدة الاسلامية التي

ظلت عقبة حقيقية في وجه النشاط التبشيري المسيحي ،وتمثلت ثانيا في الثقافة العربية التي حالت دون الانتشار الثقافي الاوروبي ، فقد كانت معاهد التعليم كلها عربية دون استثناء ، وذلك بعد ان حسم الاستعمار بالقوة الحربية مسألة السيادة الوطنية ، لكن السيادة الاجتماعية لم تكن ميسورة امام عقبتي العقيدة والثقافة ، وادرك الاستعمار ان القضية قضية أجيال ، ومع ان لكل نظام استعماري اسلوبه الخاص في التعامل مع الحضارات المغلوبة ، فالطريقة اللاتينية هي افناء الشخصية الحضارية المغلوبة في الشخصية الحضارية الغالبة عن طريق الهضم والتمثيل والاحتواء والاستيعاب Assimilation والطريقة الانغلوسكسونية هي طريقة التعايش والتكيف والاسلوب غير المباشر Indirect rule مع هذا ، فلم يكن هناك وسيلة عملية امام الاصرار الجماعي الا اللجوء الى سياسة النفس الطويل والاعتماد على الاجيال القادمة.

وهكذا فعلوا ، فأقاموا المدارس لتكون مؤسسات للتجنيد الديني والثقافي ، حتى ان بعض النظم الاستعمارية كالنظام البلجيكي اسند امر التعليم كله ، الى الكنيسة الكاثوليكية تتولاه بعثات التبشير ، وبعضها قسم هذا التعليم بين الطوائف المسيحية ، واعطى لكل طائفة منطقة نفوذ كما فعل النظام الانكليزي ، وذلك لاحداث صراع بين هذه الطوائف ، يصرفها عن التدخل في الشؤون الادارية .

ومهما يكن من امر فان هذه المدارس كانت تقوم بتعليم لغة المستعمر ، التي هي نفسها لغة التعليم ، وفي الوقت نفسه تقوم بتنصيرهم ، وتعميدهم وتغيير اسمائهم باسماء مسيحية . وأمسك المسلمون عن ارسال ابنائهم الى تلك المدارس خوفا على عقيدتهم ، فعمدوا الى الفئات الضعيفة ، والمرتبطة مع النظام بصورة من صور النشاط ، وكان كل النشاط الاجتماعي في يد المستعمر . وكان من نتيجة ذلك انه غداة استقلال هذه البلاد ، لم تكد تكون هناك طبقة من المتعلمين تعليما مدنيا من بين المسلمين ، الا من تعلم في البلاد العربية او الاسلامية ، فكان معظم رجال السياسة والادارة والتعليم والاقتصاد والتنظيم والحرب كلهم من المسيحيين الافريقيين ، الذين تعلموا في المدارس الاوروبية ، ونتج عن هذا ان الحكومات الوطنية التي خلفت الاستعمار قامت في غالبيتها العظمى على هذه الفئة ، حتى أن بعض البلاد التي تبلغ نسبة السكان المسلمين فيها اكثر من ٩٠٪ يقوم عليها رؤساء مسيحيون ، ولم ينفتح المسلمون على هذه المدارس الا بعد الاستقلال .

وهنا ينبغي ان نلاحظ ان هذه المدارس نفسها تحمل في ذاتها مشكلة حضارية كبرى ، لانها أصبحت مصدر الاغتراب الثقافي والاستلاب الحضاري ، والى جانب محاربة اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية ، واحلال اللغات الاوروبية والديانة

المسيحية مكانهما ، كانت هناك جهود موصولة لفصم عرى الثقافة العربية الاسلامية في افريقيا ، فعكف الاوربيون على دراسة اللغات المحلية ،ووضع قواميس افريقية أوروبية وتم التخطيط لتغيير الحرف العربي ، الذي وعى كل النشاط الفكري العلمي والثقافي الافريقي خلال قرون طويلة ، واستبدلت الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وقد نجحوا في ذلك رسميا ، وواقعيا ، وقد تم ذلك في الثلاثينيات بالنسبة للغات الكبرى ذات التراث الثقافي الضخم في الحرف العربي مثل الهوسا في غرب افريقيا ، والسواحيلي في شرقها .

لقد نجح الاستعمار في احلال لغته محل العربية في افريقيا ، التي يقسمونها اليوم الى قسمين : المتحدثين بالفرنسية (الفرانكفونيين) من ناحية والمتحدثين بالانكليزية (انغلوفونيين) من ناحية اخرى ، وكأن المتحدثين باللغات الافريقية ليسوا أفارقة ، أو كأن تلك اللغات الافريقية ليست لغات وليس لها وجود ثقافي او اجتماعي عند الافارقة ، بحيث يعرفون بها ، وكأن المتحدثين باللغة العربية ، من العرب في افريقيا ، ليسوا افارقة ، وكأن اللغة العربية ليست اوسع انتشارا من أي لغة اوروبية منفردة ، وبخاصة على المستوى الجماهيري، وكأنها ليست حتى الان ، ما زالت في هذا المستوى ، فهي لغة التخاطب ، بين القبائل ، وبخاصة في غرب أفريقيا.

وان الوضع الثقافي الخطير حقا في هذا الشأن هو أن اللغات الاوروبية التي شاعت في ظل الاستعمار ، هي اليوم اكثر انتشارا ، منها عشية خروج الاستعمار ، وانها تزداد انتشارا بين الاجيال الجديدة ، ذلك لان سبيل تعليم اللغة الاوروبية كانت هي المدرسة ، ولم تكن المدارس كثيرة العدد في ايام الاستعمار ، ولم يكن ذلك مرغوبا ، لان الاستعمار لا يريد بصفة عامة تأهيل المستعمرين ، وتسليحهم بالمهارات الا في حدود معينة ، ومستويات محددة ، كمساعدين له ، ثم لاحجام المسلمين عن تلك المدارس خوفا على عقيدة ابنائهم .

اما بعد الاستقلال فان التعليم أصبح حقا ، وصار الطلب عليه ، كما هو الحال في كل البلاد النامية ، عاليا ، لانه طريق الحراك الاجتماعي من ناحية ، ثم لارتفاع الحرج الذي كان يلاقيه المسلمون من التعليم المرتبط بالكنائس من ناحية اخرى ، اما لغة التعليم فقد ظلت هي اللغات الاوروبية في كل المستويات ، اذا استثنينا ، بلدا كتنزانيا ، حيث تقوم السواحلية بدور ملحوظ في التعليم العام ، في المواد الاجتماعية، اما التعليم العالي فانه يكاد يكون وقفا على اللغات الاوروبية ، ومعنى هذا ان الافريقيين هم الذين ينفقون من مواردهم القليلة ، على نشر اللغات الاجنبية ، وتأصيلها

في افريقيا ، على حساب اللغات الافريقية ، وبهذا يسهمون ايجابيا في عمليات الاستلاب الثقافي .

وارضاء لدعوات بعض الافارقة المستنيرين للعودة الى الاصالة الافريقية ،بدأت فكرة « اعـادة » كتابة اللغات بالحرف اللاتيني ، واستعمال تلك اللغات في المراحل الاولى من التعليم العام ، ويتم تعليم اللغة الاجنبية الاولى جنبا الى جنب مع اللغات الافريقية التي تتوقف عند مستوى معين ، ليستمر التعليم بعد ذلك في مراحل التكوين الاساسية باللغات الاجنبية .

هذا ، وقد ظلت المناهج التعليمية في اطارها العام ، وخاصة فيما يتعلق بافكار الثقافة الاسلامية والعربية ومحاربتها ، وبالنظرة العدوانية للعلاقات الافريقية كما هي. وهي مناهج مضللة وبخاصة المناهج الاجتماعية وهي تقوم في كل النظم التعليمية في افريقيا ، على الاتفاق في مهاجمة الحضارة العربية الافريقية ، وتشويه الصلات العربية الافريقية وتصويرها على انها صلة قائمة على الاستغلال ، وان العرب لم تكن لهم رسالة في افريقيا ، الا بيع الافارقة والمتاجرة فيهم . بحيث اصبحت هذه الاساطير احدى حقائق التاريخ الافريقي عند المثقفين الافريقيين ، ذلك الى جانب التهجم المفضوح والكاذب على الاسلام ، وعلى تعاليمه السمحة ، والتعرض لسيرة الرسول العظيم بالافتراء المشين ، وذلك امعانا في توهين الصلات الافريقية العربية الاسلامية ، لانهم يعلمون انه ليس هناك بديل مجذر واصيل ، في افريقيا ، لثقافتهم الا الثقافة العربية الاسلامية ، التي يجعلون همهم الاكبر ، النيل منها ، وصرف الافارقة عنها ، وتكوين اتجاه معاد لها ، ثم تنمية ذلك الاتجاه بكل الوسائل . ولقد وجد الاوروبيون انه لا يمكن ان يدعوا، اذا ارادوا ذلك وهم لا يريدونه، عزة وكبرا ، أنهم والافريقيين سواء ، حضارتهم افريقية ، أو ان الحضارة الافريقية هي حضارة اوروبية متقدمة ، والا فلماذا جاؤوا لتمدينهم وتحضيرهم ؟ فعمدوا حينئذ الى خلق اسطورة الزنوجة Megritude .وهي فكرة بدأت في نطاق الادب وسطا بين الرومانتيكية والسيريالية وانتشرت في أعقاب الحرب العالمية الاولى مستمدة اصولها البعيدة من كتابات الادباء الامريكيين السود ذات الجذور الاجتماعية والسياسية ، وهي تقوم على الدعوة الى تقديس الماضي الذهبي الافريقي المتمثل في الفنون وبخاصة الفن التشكيلي والنغمي وفي الفولكلور والمواريث الشعبية ، وقد استفاد منها في ذلك الوقت بعض المناضلين الافريقيين على اساس ان ذلك يبرز التناقض بين الثقافة الافريقية كيفما فهمت ، او افهمت ، وبين الحضارة الاوربية . ولكن سرعان ما انجرفت الفكرة وبدا الامر وكأن مفهوم الحضارة الافريقية منحصر،في الرأي العام العالمي،في التماثيل

الخشبية ، في الاقنعة،وقبعات الشعر ، والموسيقى الصاخبة، وقلائد الخرزوالنحاس، وهي ابداع انساني ، وتعبير فني ما في ذلك شك ، ولكن ليست هي وحدهاافريقيا.

افريقيا فيها فكر وفيها تنظيم اجتماعي وفيها قيم رفيعة وفيها حكم وتجارب . ومما يثير الريبة ان الاستعمار وبعض المثقفين الافريقيين المغتربين حضاريا ، والذين يماثلونهم بدأوا يستعملون الاصالة الافريقية ، التي يدعونها ، في اتجاه واحد ، حجة ضد الفكر العربي الاسلامي الافريقي ، جاهلين ومتجاهلين كل هذا التراث الافريقي ، الرفيع في مستواه ، والضخم في حجمه وتنوعه ، منكرين أنه انتاج افريقي صميم ، معبر عن الحضارة التي شارك في صنعها الافريقيون انفسهم مشاركة الاصيل المبدع ، لا مشاركة التابع أو المقلد ، سواء فيما اضافوه الى الفكر العربي الاسلامي ، أو فيما كتبوه في لغاتهم بالحرف العربي ، وهي مخطوطات تعتبر مفخرة لمكتبات العالم الكبرى، وان ظلت محجوبة عن اعين المثقفين الافريقيين ، الذين احكم المستعمرون قطع الصلة بينهم وبينها ، بصرفهم عن الكتابة العربية .

٩ ـ معالم الحضارة العربية الاسلامية في افريقيا اليوم :

بعد هذه الاشارات الموجزة ، الى بعض الحقائق ، عبر اتصال تاريخي وجغرافي ممدود بين افريقيا وبين العروبة والاسلام ، تعرض في مسيرته الطويلة ، لاحداث جسام صنعها الاستعمار ، فخلفت وقائع جديدة ، نتساءل بحق ما الذي بقي من معالم الحضارة العربية الاسلامية في افريقيا ، وقد اهتزت القيم وتبدل الفكر وتغير اللسان واختلفت الحياة ونشأت مصالح واستحدثت علاقات ؟.

وهذا السؤال المشروع والمنطقي ، لا يرد على افريقيا وحدها ، بل يكاد يرد في بعض جوانبه على الامة العربية الاسلامية ، في كل مكان ، لان التغيير في حقيقته جزء من الطبيعة العضوية للحضارة البشرية التي تستمر وتعيش في الجدليةالدائمة. فحتمية التغير هي قانونها الاول،ولكن الحضارة المعاصرة مع ذلك تتميز عن الحضارات التاريخية بسرعة هذا التغيير وبكثافته كذلك .

ومع هذا فان الاجابة ليست سلبية ، ففيها جوانب ايجابية كثيرة ، ونقاط بدايات صلبة ومتعددة ، لو سلك الناس في اعادة بناء الجسور بين الوطن العربي ، وبين العالم الافريقي ، المنهجية السليمة القائمة على الفهم الموضوعي للقضايا والمشكلات الافريقية في اطار الواقع الجديد ، واستعانوا على ذلك بالتخطيط المرن والصبر المشترك ، في صورة مؤسسية دائمة وقادرة ، على أن يكون التعاون الثنائي

والجهود الفردية ، وهي أساسية وجوهرية ، روافد لتلك الخطة المؤسسية الشاملة .

وفي هذا الاطار من وضع الوقائع في سياقها ، يمكن القول انه بقي من معالم الحضارة العربية الاسلامية في افريقيا الكثير ..

بقي الدين فيالقلوب ، وبقي القرآن في الصدور . مكاتب حفظه في كل مكان تمتلىء بمتعلميه وقارئيه ، بقي نسيج الحياة المتصل بالعقيدة في السلوك الاجتماعي الروحي ، بقي الانتماء العرقي الذي تمازجت فيه الدماء العربية ، بقي التراثالضخم من الانتاج الفكري والعلمي والثقافي الذي انتجته العقول والمواهب الافريقية المكتوب في الحرف العربي . ينتظر البحث والبعث ، والنشر والاعلام .

بقيت الفنون العربية الاسلامية قائمة في المساجد ، والجوامع ، ومعاهد العلم والقصور .. بقي الحرف العربي ، وعاء خالدا ، في ظل القرآن ، للفكر الافريقي . بقي كل ذلك بجهد الافريقيين انفسهم وبايمانهم ، وباصرارهم وبانتمائهم على الرغم مما تعرضوا له من قهر واكراه ، ومن تأثير غلاب ، يمس وجودهم وحياتهم اليومية .

وهنا ينبغي أن نذكر أن كل شيء في الحياة الاجتماعية جمع بين العربوالافارقة، في وجودهم المشترك فالاسلام لم يدخل افريقيا غازيا الى جانب انه لم تكن هناك فوارق عرقية واضحة بين العرب والافارقة في اللون ، فالعرب سمر ، والخضرة الوان العرب ، كما يقولون ، هذا الى جانب تقارب نمط الحياة والمضمون الاخلاقي بين العرب والافارقة الذين تلاقوا سالمين حول نشاط اجتماعي مشترك يتبادلون المنافع ، يأخذون ويعطون ، فأنتشر الاسلام بين الافارقة بسماحة مبادئه وبالقدوة الحسنة للمسلمين .

وهناك موضوع اساسي في هذا التلاقي الروحي والفكري والاجتماعي ، وهو المشاركة الايجابية للمسلمين والافارقة في المجتمع الاسلامي العربي في تكافؤ ومساواة وسماحة مكنتهم من السيولة في التعامل الاجتماعي ولم يلبث الافريقيون أن اصبحوا هم انفسهم مصدر اشعاع عربي وثقافي ، واصحاب قضية وحملة رسالة . في القارة وفي خارج القارة .

كل هذه جوانب ايجابية ومنطلق صلب لاستعادة هذه الصلة الروحية والثقافية، وهما الاساس الذي تعتمد عليه سائر العلاقات الاخرى وتقوم عليهما .

من أين نستأنف المسيرة الحضارية المشتركة ؟

انه من الموضوعية ، ومن الحزم ، وحسن الرأي ، أن يبدأ ذلك من فهم الواقع الافريقي فهما عادلا بقضاياه ومشكلاته ، ثم تقدير المداخل المنهجية ، وطرح البدائل الايجابية في رسم سياسة التعاون المشترك لمواجهة تلك القضايا والمشكلات وحلها .

١٠ ـ الواقع الافريقي الجديد :

الواقع الافريقي لدول افريقيا حديثة الاستقلال يحمل كل اعراض واقع البلاد النامية ومظاهره وكل آثار المعاناة في سبيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية قياما بوظائف الدولة الحديثة نحو مواطنيها ، ويحمل كل ضغوط السياسة العالمية وايديولوجياتها المتصارعة ، حفاظا على سيادتها ، واسهاما في سلام العالم . ولقد بدأت الدول الافريقية ، من نقطة الصفر ، حتى ان بعض تلك الدول لم تكن لديها غداة الاستقلال شيء من المقومات الاساسية لتنظيم الدولة وخاصة بعد ان سحبت بعض الدول الاستعمارية الغاصبة ، العناصر البشرية الاوربية التي كانت تقوم على كل الاجزة الفنية ، في الوقت الذي لم تؤهل فيه طوال فترة استعمارها افريقيين . ثم ان هناك بلادا افريقية ، تقع في منطقة بعيدة عن البحر ، وعن طرق النقل الاقتصادي، وبعضها تقع في منطقة يهددها الجفاف لسنوات متتالية ، تتعرض فيها الثروة القومية الزراعية والحيوانية لاخطار محققة مثل دول الساحل ، وذلك الى جانب الحاجة القصوى الى البنى الاساسية كالطرق والمواصلات ، وأكثريتها الساحقة تعاني مشكلة الطاقة ونقص السيولة المالية داخليا وشح العملات وعجز موازنات المدفوعات وعدم الاستثمار في مجالات الصناعة والزراعة .الخ..

وفي الجانب الاجتماعي هناك الطلب المتزايد على التعليم كحق ديمقراطي ، مع قصور الموارد الوطنية عن الوفاء به،وازمة السكان وتفاقم الهجرة الى المدن ، ومشكلة البطالة بانواعها ونقص الخدمات الضرورية في مجال الاسكان والكهرباء ، والمياه النقية والخدمات الصحية في جانبيها الوقائي والصحي ، الى جانب تخلف المجتمعات القروية، وتدهور الانتاج الزراعي .

والى جانب هذا يعاني الافريقيون، قضية قومية خاصة، هي شخصيتهم الافريقية وهويتهم الخاصة ، فهم لم يبق لهم من افريقيا الا اللون ، فلغاتهم سلبت وتراثهم الفكري احتجب ، وكأنهم ظهروا الى الوجود مع دخول الحضارة الاوربية الى افريقيا دون تاريخ حضاري .

وأصبحت مشكلة اللغات الوطنية احدى المشكلات الكبرى امام الدول الافريقية، كيف يمكن أن تكون لهم لغة رسمية ، ولغة تعليم وثقافة .؟. ولما كانت اللغات الاوروبية اصبحت حقيقة مجذرة كان لابـد من وجود مكان لهذه اللغات الافريقية متواضع الى جانب تلك اللغات المتحضرة .. فكان الحل هو ان تكتب اللغات المحلية وبعبارة اخرى تعاد كتابتها بالحروف اللاتينية ، ومهما كانت الاسباب الفنية والمبررات التي ذكرت في هذا المجال ، فان السبب الحقيقي هو هدم الجسور الثقافية العربية المرتبطة بالدين الاسلامي . ثم تصبح لغة تعليم في المراحـل الابتدائية ، الى جانب اللغـات الاوروبية ، ويتم التدرج في ذلك حتى تتمكن من ان تقوم بكفاية للتدريس بها في المواد الادبية والاجتماعية ، في مراحل معينة دون العلوم والرياضيات . أما اللغات الاجنبية فتحتفظ بمستواها في مجال التعليم ، في كل المراحل ، ثم هي تصبح اللغة الرسمية للدولة . وذلك تحت شعار ان اللغات المحلية هي لغة الوحدة الوطنية ، واللغات الاوربية هي لغة التفتح الثقافي على العالم ، اللغات الافريقية هي اذن أداة الوحدة ، واللغة الاوربية هي أداة التفتح ، بهذه الصبغة حل الخبراء موضوع اللغات الافريقية، وبدأت الهيئات الدولية العالمية ، تعين على تأليف الكتب على هذا النمط الجديد . اما اللغة العربية ، فانها غير واردة في مناهج التعليم الحكومي الا في بعض البلاد ذات الكثرة الاسلامية ، وهي هناك تبدأ لغة اختيارية في المرحلة الثانوية ، بمستوى متواضع جدا في المادة ، والاستعداد التربوي ، معلما ومادة تعليمية ، وهي تنافس اللغـات الحية ، ففي بلد اسلامي كبير، مثل نيجيريا يخير الطلبة بين اللغة الفرنسية أو العربية، في المرحلة الثانوية الى جانب الانجليزية التي هي لغة التعليم . وتدل الدراسات التي أجريت في هذا الصدد أن الطلبة يختارون الفرنسية ، للتفوق الفني في دراستها بطريقة تربوية حديثة عن طريق الوسائل السمعية البصريـة المتقدمة ، والمـواد التعليمية المدروسة والمدرسين المؤهلين ، بينما انعدمت كل هذه الامكانات بالنسبة للغة العربية. وفي بلاد اخرى ، مثل السنغال مثلا ، يخير الطالب في المرحلة الثانوية، الى جانب اللغة الفرنسية التي هي لغة التعليم ، بين العربية واللاتينية !! فضلا عـن قلة الوقت المرصود لها في الخطة التعليمية ، فان ذلك الوقت الى جانب هامشيته ، يختار عادة ، في اخر اليوم الدراسي ، وفي أواخر الاسبوع ، حتى يكون الملل قد بلغ من الطلبة غايته ، مما يحملهم على الانصراف عن تلقي أي مادة مهما بلغت رغبتهم فيها .

والواقع ان هذا الطرح لا يحل مشكلة بل يخلق مشكلات لانها تزيد الفرقـة بدل الوحدة ذلك انه لا نكاد نجد بلدا افريقيا واحدا يتكلم اهله جميعا لغة وطنية واحدة اذا استثنينا بلدا كالصومال . ومن هنا فان مقولة ان اللغة الافريقية هي لغة الوحدة الوطنية مقولة غير صحيحة ومحرفة تماما .

أما لغة التفتح فسوف تظل وقفا على الذين يتكلمونها في المدارس ، وستظل القاعدة الشعبية لا تعرف عنها شيئا ذا بال ، على انه اذا لم يتم تعليم الناس بالقدر الكافي ، فان اللغات الاوروبية ستكون هي وحدها لغة التفتح ولغة الوحدة ايضا ، وهي تكسب في الحالين ، وتخسر اللغات الافريقية والثقافة الافريقية في الحالتين .

وهنالك مسألة هامة جدا في هذا المجال ذلك ان المثقفين الافريقيين لم ينتجوا في لغاتهم الاصلية شيئا بل ان كل الذي كتبوه ، هو باللغات الاوروبية ، وهو محسوب في رصيد ادب تلك اللغات التي كتبت بها وليس في رصيد الثقافات الافريقية .

١١ ـ التعاون العربي الافريقي :

حاجات المجتمع الافريقي الجديد ، هي مثل حاجات غيرها من الامم النامية ، كثيرة ، وتعجز مواردها ان تقوم لها بالاشباع ، وهذه الحاجات ، هي اما حاجات متصلة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، واما حاجات متصلة بتحقيق الذاتية وتحديد الهوية الحضـــارية .

وافريقيا ، وهي تسعى الى تحقيق اهدافها دولا وشعوبا ، تتعاون كغيرها على المستوى الدولي والقاري والاقليمي ، والثنائي ، ومع ارتباطها بالدول الاوربيــة المستعمرة لها قديما ، اقتصاديا ، وثقافيا ، فان الدول العربية تبقى ادنى الــدول اليها رحما ، واقربها اليها موقعا ، وهذه الدول في مجموعها اكثر تجردا في عونهــا لافريقيا على المستوى الجماعي والثنائي .

وانطلاقا من معطيات العلائق التاريخية ، والمستقبلية . اعطت الدول العربية اهمية قصوى للتعاون العربي الافريقي الذي اصبح جزءا من صلب السياسة القومية الرسمية وهكذا تقرر في اجتماع القمة العربي الافريقي المشترك الاول عام ١٩٧٧ في القاهرة ، تقديم معونات كبيرة ومتنوعة الى الدول الافريقية ، تقاسمتها الدول القادرة ، وصناديق التنمية العربية والمؤسسات المالية العربية ، ويبدأ التعاون من خلال المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا ، ومن خلال الصناديق الوطنية العربية ، وهذا التعاون الجماعي يأتي ليدعم التعاون الثنائي ، وهو تعاون نشيــط ونافع من الدول العربية والدول الافريقية ، ويؤدي دورا كبيرا مــن الناحيتين السياسية والاقتصادية ، فهو من ناحية مثل مشرق لتعاون الدول النامية بينها وبين بعضها بعضا ، وهو ايضا تعاون غير مشروط لا يحمل وراءه تبعية ولا نفوذا وانمــا هو تأكيد للصلات التاريخية ونتيجة للعلاقات الحضارية المشتركة . على ان هذا ،

من ناحية اخرى وعلى المدى الطويل ، خاصة في مجال الامن الغذائي العربي ، وفي المجال الصناعي والتعديني، يمثل مجالا واسعا للاستثمارات العربية في كل المستويات.

وعلى صعيد اخر في المجال الثقافي يقوم التعاون بين العرب وافريقيا ، على المستويين الجماعي والثنائي . والجامعة العربية ومنظماتها المتخصصة تمد جسورا ثقافية مع افريقيا ، وتتعامل مع المؤسسات والهيئات العلمية والثقافية ، سواء مع اتحاد الجامعات الافريقية ، او مع مراكز البحوث التربوية ، او مراكز الدراسات الثقافية ، وبخاصة مع المؤسسات العاملة في ميدان الثقافة العربية الاسلامية ، كما تعمل منظمة المؤتمر الاسلامي ، والهيئات الاسلامية العربية في هذا النطاق .

والى جانت هذا فان لبعض الدول العربية نشاطا واسعا في مجال هذا التعاون الثقافي ، وهي تقدم العون الكريم للمؤسسات القائمة ، وتنشىء المؤسسات التي تطلبها الحكومات والهيئات الثقافية العامة . وتزود المكتبات العامة ، ومكتبات الجامعات والمدارس بالمصادر والمراجع والكتب العربية .

ويأتي هذا التعاون كله مكملا للدعم السياسي الذي قدمته وتقدمه الدول العربية ، في تحرير افريقيا من الاستعمار ، والوقوف الى جانب قضاياها ، ولا سيما في قضايا التعصب العنصري . وفي الواقع ان هذا الدعم السياسي متبادل ، فللدول الافريقية أيضا مواقف ايجابية وثابتة ، في دعم القضايا العربية ، وفي مقدمتها قضية العرب المركزية ، وهي قضية فلسطين ، والاستعمار الصهيوني العنصري فيها ، الى جانب تعاونها ثنائيا ، وعلى نطاق الهيئات الدولية في قضايا العالم الثالث ، فيما يتصل بالتنمية ، واقرار نظام عالمي جديد للاقتصاد وللاعلام ، مع الدول العربية ، على انه اذا كانت الحاجات التنموية ، هي في الواقع ، حاجات عامة ومتقاسمة بين كل الدول النامية ، فان تبادل العون على مواجهتها مدخل موضوعي ، ومرتكز عملي في اوجه التعاون الاخرى ، وفي النظام العالمي القائم يتم هذا التبادل من خلال قنوات كثيرة في المجتمع الدولي وتتلقى افريقيا منها عونا كبيرا من المنظمات الدولية ومن الدول الاوربية وغير الاوربية ، ومع هذا سوف يظل التعاون العربي الافريقي محتفظا بخصوصيته ، وبأولويته بالنسبة الى العرب ، وبالنسبة الى افريقيا ، ولهذا فانه ينبغي ان يتوسع من خلال استراتيجية مدروسة ومحددة في مختلف المجالات ، خدمة للمصالح التاريخية والمصيرية المشتركة .

وعلى الرغم من تعدد وسائل العون على الحاجات الافريقية ، فان الحاجة الافريقية التي لا يستطيع أحد العون المباشر عليها ، الا العرب وحدهم ، هي الحاجة

الى تأكيد الذاتية الثقافية ، وابراز الهوية الحضارية . ذلك ان اتصال الافارقة بتراثهم الاسلامي ، وهو راس مالهم الفكري في التاريخ ، ومستودع اضافتهم المبدعة الى الحضارة الانسانية ، رهن بتعلم اللغة العربية وبمعرفة الثقافة العربية ، وباعادة الحرف العربي الى مكانه التاريخي والثقافي ، في اللغات الافريقية ، مساعدة للافريقيين على الاتصال بانتاجهم الفكري ، وفي مصادره الافريقية العربية والتعريف بها ، ثم تصحيح العلاقات التاريخية العربية الافريقية التي شوهها المغرضون وتنقيتها من البهتان ، الذي لقن باصرار لاجيال المتعلمين في المدارس التبشيرية من اتهام العرب بتجارة الرقيق ، ومن التهجم الظالم على الاسلام وتعاليمه المسمحة . وما تزال هذه الافكار المسمومة باقية في المناهج المدرسية الافريقية حتى يوم الناس هذا ..

والى جانب ذلك فانه يجب ابراز دور الجامعات الافريقية ، وجهود العلماء والادباء والمؤرخين والشعراء الافارقة ، وتوضيح اوجه التكامل والتعاون بين الدول العربية الافريقية الاسلامية على مدى التاريخ المشترك .

١٢ ـ سياسة التعاون العربي الافريقي الاسلامي :

في الاشارات ، التي سبقت ، عرض لمجالات هذا التعاون المعاصر الذي يقوم على ركيزتين : ركيزة مادية وركيزة فكرية .

وهنا ينبغي ان نقرر ان التعاون في مجالات التنمية الاقتصادية ،تعاون عالمي يمكن ان يكون له بديل من اي مصدر خارجي آخر غير عربي ، في اطار التعاون الدولي الثنائي والجماعي .

اما التعاون الثقافي العربي فليس له بالضرورة ، بديل خارج النطاق العربي بالنسبة الى الافارقة ، فهو لابد ان يجيء العون فيه من الامة العربية الاسلامية .

ومن هنا ، فانالتعاون ينبغي ان تحكمه معايير ، ويقوم على اسبقيات ، فحين نتحدث عن العون المادي لمتطلبات التنمة ، فاننا نعتقد انه جوهري واساسي لبناء قاعدة من المصالح المشتركة مع الشعوب الافريقية ، ومع هذا فينبغي أن يكون من شأن ذلك العون ان يساعد على تنمية الشخصية الثقافية الافريقية ، فيكون نافعا للافريقيين في حاجاتهم الموجبة ، وهذا يعني ان يدعم المال العربي ، كلما امكن

ذلك ، بالخبرة العربية وذلك ليتحقق التفاعل الاجتماعي ، ويتم التبادل الثقافي ، فالمال اي مال هو قوة مطلقة لا هوية لها ، ويمكن ان يكون من اي جهة ، ولكن الثقافة هي على عكس ذلك تماما وان كان خلق العلاقات الانسانية ورعايتها بين العرب والافارقة هدفا اساسيا لكل تعاون بينهما مهما كان شكله أو ميدانه فان العون الثقافي يأخذ اسبقية عالية ، لانه العون الذي يحمل الهوية العربية الاسلامية ، والذي يزداد عطاؤه مع مرور الزمن أكثر من الاستثمار في المصانع ، فالالة تستهلك كلما مر عليها الوقت ، اما الانسان فان عطاءه يزيد كلما امتد به العمر ، وعن طريق الانسان تنشأ العلاقات ، ويسود التفاهم وينشر السلام ، وتقوى روح الاخاء بين الشعوب .

صحيح أن الحاجة الى المال ، والى العون المادي حاجة ملحة ، وهي التي تعطيها الدول الافريقية وكل الدول ، وبحق ، الاولوية في مشروعات التنمية . وعلى التعاون العربي الاسلامي ، ان يستجيب لهذا المنطق الذي تدعو اليه الالتزامات الدستورية والسياسية والاجتماعية لهذه الدول نحو مواطنيها سدا لمتطلباتهم الحيوية وايفاء لحقوقهم الاجتماعية ، فالعون الفكري والثقافي ، ليس بديلا عن العون المادي ، ولكنه مؤسس ، وداعم .

وفي هذا الاطار فان العون الثقافي ، بقدر ما هو مطلوب من الدول الافريقية في بناء تنميتها الشاملة ، وتأصيل شخصيتها الحضارية فانه يمثل بالنسبة الى العرب واجبا مستحق الاداء ، باعتباره جزءا من التزاماتهم المعنوية ، ذلك ان على المسلمين العرب مسؤولية انسانية في ان يمكنوا اخوانهم في العقيدة من تفهم دينهم على الوجه السليم وتلقيه من مصادره الشرعية ، وذلك بعونهم على تعلم لغة القرآن ، ولغة الشريعة الاسلامية .

وهكذا نجد ان العون الثقافي يستمد اولويته من جانب طرفي التعاون : العرب من ناحية ، والافارقة المسلمين من ناحية اخرى .

وانه من الامور الاساسية في هذا المجال ان يكون هدف هذا العون واضحا وهو تمكين الافارقة من تحقيق ذاتيتهم الثقافية ، وتثبيت هويتهم الحضارية ، وذلك انما يتم عن طريق وصلهم بتراثهم الفكري وبانتاجهم العلمي ، وهو انتاج قائم في الذي كتبه العلماء الافارقة ، في اللغة العربية وفيما اضافه المثقفون وابدعه الشعراء منهم في الجامعات الافريقية ، ومعاهد العلم ، وعلى الاجيال الافريقية المعاصرة ان تتعرف على تراثها الافريقي العربي هذا ، ويكون ذلك بالتعريف بهذا التراث العظيم

وبنشره ، وترجمته ، وتقريبه الى المثقفين الافريقيين ، فهو صلب تاريخهم الثقافي الذي ظل مجهولا لديهم ، بما اسدل حوله من ستار كثيف ، وبما جبل بينه وبينهم بالتجهيل والتغريب .

وهذا يعني ان منطلق هذا التعاون هو ان يكون هناك سعي في اتجاهين : اتجاه يرمي الى انشاء ودعم المؤسسات التي تقوم على تنمية اللغة العربية وتعليمها في المدارس والمعاهد والجامعات بما في ذلك الثقافة الاسلامية والعربية بالضرورة ، مع العناية بالمؤسسات المستقرة والدائمة والموصولة ، وهي مكاتب تحفيظ القرآن الكريم ، في البلاد الاسلامية .

أما الاتجاه الثاني ، وهو لا يقل اهمية عن الاتجاه الاول ، وهو ما اشرنا اليه من ضرورة ابراز الاسهامات الافريقية في الثقافة العربية وفي الفكر الاسلامي ودراستها وتحليلها ونشرها .

وفي الواقع ان هذا التراث الافريقي الذي انتجه وكتبه العلماء الافارقة ، هو المصدر الفكري التاريخي للتعبير الفكري المكتوب عن الثقافة الافريقية ، وحين يتحدث المثقفون الافارقة عن الذاتية الثقافية ، فيجب ان يكون هذا المصدر ، احد المرتكزات الاساسية لتلك الذاتية الثقافية ، وهي امور مرتبطة تاريخيا بنشأتها العاطفية والاجتماعية والنفسية الشديدة التعقيد ، التي كانت احدى التعبيرات الادبية للكتاب الامريكيين من اصول افريقية ، تحت وطأة التمييز العنصري والاضطهاد الاجتماعي ، ثم اختلاطها بالادباء الافريقيين الناطقين بالفرنسية بصفة خاصة في اوربا ، بعد الحرب العالمية الثانية واتخاذها الغرابة الرومانسية لدى الاوربيين ، وادخالها في بعض الجوانب في مقاومة الاستعمار بصورة غامضة من بعض العناصر ، واتخاذها في بعض الجوانب للتفرد الادبي من عناصر اخرى ، واستغلالها في كل حال ، من مخططي السياسة الاستعمارية ، الرامية الى عزل افريقيا من جذورها الحقيقية ، لاستيعابها في الحضارة الاوربية ، بمعاونة بعض علماء الاجناس والمؤرخين والاداريين ، مما يطول معه القول ، في هذه الزنوجة .

اما فكرة الزنوجة كما مورست فيما بعد على غموضها وصعوبة تحديدها ، فليس فيما وراء الذي عرضنا من ظروف ، من الجوانب الفكرية الجادة شيء كثير ، الا الروايات الشفوية عن الخبرات البشرية والاداب الشعبية المتنوعة التي تختلف من مجتمع افريقي الى مجتمع آخر ، بحيث لا توجد فيها فكرة جوهرية واحدة تمثل

افريقيا فكريا ، في نسق معرفي ، وبنيان علمي ، وفلسفية متكاملة . بل انها محليات ثقافية .

أما الفكر الاسلامي العربي وما انتجه الافارقة فيه باسهامهم الفعال وبعطائهم المنجز ، فهو قدر مشترك بين الافارقة جميعا ، وهو محدد بخصائصه ومقوماته ، في اطار الفكر العربي الاسلامي نفسه ، بما اضافته العبقرية الافريقية وبخاصة في مجال الفنون القولية ، وفي مجال العلوم الاجتماعية .

فهو انتاج متميز يمثل التراث الافريقي الاسلامي ، الذي يتخذ طابعه الخاص ، في نطاق التراث الاسلامي العربي الذي انتج في مناطق اخرى من البلاد الاسلامية . ومن هنا ينبغي ان يكون هنا حوار موصول بين المثقفين الافريقيين والعرب حول هذه القضايا حتى يتحدد الموقف من هذا التراث بصورة اكثر وضوحا ، والسعي لرسم خطة مشتركة لاستئناف مسيرة التعاون الثقافي الافريقي العربي .

١٣ ـ مجالات التعاون الثقافي العربي الافريقي :

ان المجالات التي يمكن ان تتحقق فيها سياسة التعاون الثقافي العربي الافريقي الاسلامي كثيرة ، ويأتي في مقدمة هذه المجالات التي تهدف الى تحقيق الهوية الحضارية والذاتية الثقافية ، اعطاء اسبقية للمخطوطات العربية وهي مقسمة على المكتبات العالمية ، وبعضها في ملكية الافراد وكثير منها معرض للضياع والتلف .

ومن هنا ، فان العناية بجمعها وتصويرها وفهرستها والتعرف بها على نطاق عالمي ، وتحقيق بعض المخطوطات ، ونشرها وترجمتها الى اللغات الافريقية الكبرى ، والى اللغات الاجنبية السائدة في افريقيا ، تأخذ اولوية قصوى .

كذلك فان العناية بالحرف العربي وتطويره توسيعا لوعائه لاستيعاب كل الاصوات وتحسين رموزه وتبسيطها ليتمكن من مواصلة دوره في تسجيل العطاء الثقافي الافريقي ، وذلك ربطا للماضي بالمستقبل ، وتوظيفا لذلك التراث في بناء الشخصية الافريقية ، أمر له اهميته التاريخية والثقافية ، حتى لا يغترب ذلك التراث الضخم عن الافريقيين ، ويضيع من تاريخهم ومن التاريخ العربي ومن التاريخ العالمي .

وفي هذا الاطار فان وضع القواميس العربية الافريقية والافريقية العربية وبالحرف العربي وبالمداخل العربية من الوسائل الجوهرية والضرورية .

ويدخل في هذا الباب تقويم المناهج الدراسية في المدارس العربية والافريقية معا ووضعها على اسس موضوعية تبرز الصلات بين العرب والافارقة وتوضح مقومات تلك الصلات وطبيعتها واهميتها .

كذلك فانه من الامور الاساسية في هذا المقام ، اصدار موسوعات عربية افريقية تعالج في عملية موضوعية مختلف المجالات المشتركة ، وتعين بحق على تصحيح التاريخ العربي الافريقي . ومن ذلك انشاء اقسام للدراسات الافريقية في الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث العربية تقوم على دراسة اللغات الافريقية والحضارة الافريقية العربية الاسلامية ، وتشجيع انشاء أقسام للدراسات العربية في الجامعات والمعاهد ، ومراكز البحوث الافريقية ، لتقوم على الاهداف نفسها ، الى جانب اجراء بحوث ودراسات مشتركة ، حول القضايا الافريقية العربية .

ومن البرامج الاساسية المطلوبة تخصيص المنح الدراسية السخية ، والبعثات العلمية المتنوعة للدراسات الافريقية وللدراسات العربية على السواء،وتبادل الاساتذة والبحوث وتشجيع النشر المشترك ، والعمل على تزويد الدول الافريقية بالمطابع العربية ، والعمل على اعانة المدارس والمعاهد التي تقوم على تعليم اللغة العربية،وتزويد المكتبات العامة والمكتبات الجامعية والمدرسية بالمراجع والمصادر والكتب العربية والمواد التعليمية المختلفة ، بما في ذلك المسجلات الثقافية والتعليمية .

ذلك الى ان هناك عشرات من الموضوعات المحددة التي يمكن ان تتم في هذا المجال ، وليس من همنا ان نعددذلك حصرا ، ولكنا نشير بصفة خاصة الى المجالات الكبرى المكنة ، وانه هناك كما سبق القول ، نشاط عربي مستمر وقائم ، في كل هذه المجالات ، سواء عن طريق المنظمات القومية او عن طريق التعاون الثنائي ، ولكن المدعو اليه هنا هو التكثيف والتسريع في اطار خطة عامة تقوم على تنسيق الجهود المختلفة . وفي هذا المقام ، فان بعض الخطوات الجادة ، قد بدأ ، في اطار الجامعة العربية ، ومنظمة الوحدةالافريقية ، وهناك مشروعات كبيرة في طريقها الى التنفيذ ، ومنها ، المعهد العربي الافريقي ، الذي تقرر انشاؤه بتمويل مشترك في نطاق المنظمتين العربية والافريقية ليقوم على تنمية العلاقات العربية الافريقية في مجالات التربية والتعليم ، وفي مجالات الثقافة ، وفي أهدافه متسع لانشطة متنوعة ومتجددة ، وقد قامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم باعداد الدراسات المتصلة بهذا الامر ، بتكليف من لجنة التنسيق بين المنظمتين ، الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية. وقيام هذا المركز سيكون خطوة متقدمة في هذا المجال ومنطلقا لمؤسسات وبرامج مشتركة .

خلاصة :

الصلة بين العرب والافارقة قديمة ، قدم المنابت العربية في الجزيرة وما حولها ، وقدم القارة الافريقية نفسها ، فكانت هناك طرائق اتصالات طبيعية ، البحر والصحراء اللذان تملك العرب وسائلهما منذ القديم ، فلم تعد هناك عوائق في الاتصال البشري المباشر ، والاختلاط المبكر بين الافارقة والعرب . فالاختلاط البشري بينهما سبق ظهور الاسلام بكثير من الزمن في تعامل تجاري وفكري وسياسي.

وجاء الاسلام ، فتغير مضمون هذا اللقاء ، واتخذ طابعا عالميا ، ودخل الاسلام الى افريقيا سالما ، وتلقاه الافريقيون ، واسهموا فيه اسهاما واسعا ، فعملوا على نشره ، والدفاع عنه ، واشتركوا في الانتاج الفكري الاسلامي في جامعاتهم ومؤسساتهم العلمية ، عن طريق علمائهم ومفكريهم ، وتبنوا كل مظاهر الحضارة العربية الاسلامية في فنونهم ، وفي نمط حياتهم الاجتماعية ، وفي نظمهم السياسية . وظل هذا الوجود الاسلامي ، هو الوجود الحضاري السائد الذي اعطى لافريقيا طابعها الحضاري المميز ، فلم يحدث لها مثل هذا التأثير الجماعي الذي تعرضت له من الحضارة العربية الاسلامية من قبل ، على امتداد تاريخها الطويل . وقد ظلت المستقرات العربية منتشرة في افريقيا وفي الجزر المتصلة بها ، حتى جاء الاستعمار الاوربي ، الذي قاومه العرب على شواطىء افريقيا الشرقية بصفة خاصة قرونا ، وحين طمع الاوربيون ، في استغلال الموارد الطبيعية في داخل افريقيا ، بعد ان ادى استغلال الموارد البشرية عن طريق تجارة الرقيق الذي مارسوه بوحشية ، دوره الاقتصادي ، تعرضت القارة لهجمة حربية كبيرة ، بلغت ذروتها في النصف الاخير من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، كانت القوة التي وقفت في وجه الغزو الاجنبي ، هي القوة العربية الاسلامية ، وبرزت اسماء ثوار من العلماء ، في غرب افريقيا ، مثل الحاج عمر تالي ، وفي وسطها مثل عثمان دان فوديو ، وفي شرقها مثل الشيخ عبد الله الحسن في القرن الافريقي ، والمهدي ورابح الزبير في السودان الشرقي والسنوسية في الصحراء الكبرى ، وفي السودان الاوسط والامير عبد القادر وعمر المختار والامير عبد الكريم في شمال افريقيا ...

وظل الوجود العربي قائما في افريقيا حتى الستينات من هذا القرن ، الى ان ضمت جزيرة زنجبار التي كان على رأس الدولة فيها حاكم عربي مسلم ، بطريقة مأسوية ، نتيجة لما بثه الاستعمار الغربي من سموم في العلاقات العربية الافريقية الى تنجانيقا وتكونت منهما جمهورية تنزانيا الحالية التي يشكل السكان المسلمون فيها رغم كل شيء اغلبية صامتة .

وفي كل هذه الفترة ، كان العرب جزءا من المجتمع الافريقي المسلم . ولم يكونوا ليمثلوا عنصرا دخيلا ، وكان الافريقيون كذلك جزءا عضويا في النسيج العربي الاسلامي . ولم يكن أمام الاستعمار من قوة حقيقية لمقاومة نفوذه الفكري والاجتماعي بعد مقاومته العسكرية ، الا القوة العربية الاسلامية . واعتمد الاستعمار على فرض لغته وثقافته ودينه ، على حساب الفكر الاسلامي والثقافة العربية ، واتخذ لذلك مؤسسات المدارس التبشيرية ، التي كانت تعلم اللغات الاوربية ، وتتعهد الاطفال الافارقة فتنصرهم ، وتغير اسماءهم باسماء مسيحية ، وكان لابد للاستعمار من الانتظار فترة طويلة حتى تتكون اجال جديدة وهكذا فعل .

هذا وقد حجب معظم المسلمين ابناءهم عن تلك المدارس ، خوفا على عقيدتهم ، فلما جاء الاستقلال في الستينات ، وجد المسلمون انفسهم متخلفين ، وكان ان جاء على رأس تلك الحكومات الوطنية ، في البلاد الاسلامية ، حكام من الافارقة المسيحيين الذين تعلموا في المدارس الاوربية والذين كانوا يعاونون المستعمرين في الادارة الحديثة ، وفي التنظيم الفني والتقني للمجتمع على النمط الاوربي .

هذا وقد ظل الهم الاكبر للاستعمار ، هو ، العمل المنتظم المدروس ، على قطع صلة الاجيال الافريقية بالتراث العربي الاسلامي ، فغير كتابة اللغات الافريقية من الحرف العربي ، الذي كتبت به ، من قبل ، ثلاثون لغة افريقية لمدة قرون ، الى الحروف اللاتينية وهذا يعني القطيعة مع التراث الافريقي الذي تراكم خلال قرون طويلة من انتاج العلماء الافارقة ، واهمال ذلك التراث وحجبه عن الافريقيين .

وانه من حق الافريقيين اليوم ان تعاد الصلة الفكرية والثقافية بين العرب والافارقة ، ليتعرفوا على تراثهم وانتاجهم الفكري ، ومسؤولية العرب في هذا كبيرة .

وامتدادا للتضامن بين قوى التحرر العربية والافريقية من اجل الاستقلال نشأ تعاون وثيق بين العرب والافارقة ، في المجالات الاقتصادية والسياسية في اطار المنظمات الاقليمية والدولية وفي النطاق الثنائي وهو تعاون ينمو يوما بعد يوم ، ومع هذا فان العون الثقافي وهو الذي يزيد مع الزمن ، لانه الاستثمار في الانسان ، وينبغي ان يعطى اولوية خاصة في نطاق خطة التعاون العربي الافريقي ذلك ان العون الثقافي هو عون له هوية وشخصية وتعبير انساني ، اما العون المادي فمع اهميته فانه يمكن أن يأتي من أي مصدر عالمي ، آخر . وحتى في مجال العون المادي العربي الافريقي ينبغي ان يكون هناك مجال للتفاعل الاجتماعي والانساني ، وذلك بجعل الخبرة

العربية الفنية والمعونة الثقافية موصولتين ، بقدر الامكان ، بوجوه التعاون المادي أو جزء من ذلك التعـاون .

كذلك فانه ينبغي ان تكون هناك توعية للافارقة وللعرب معا ، بالدور الايجابي وبالاضافة التي قدمها العلماء والافارقة الى الفكر العربي الاسلامي .

ومن وسائل ذلك ، نشر المخطوطات الافريقية العربية والمكتوبة في اللغـات الافريقية بالحرف العربي ، ووضع القواميس ، واجراء البحوث حـول العلاقات الافريقية العربية وتصحيح التاريخ المشترك الذي شوهه الاجانب واعادة النظر في المناهج الدراسية ، وتوسيع المنح الدراسية والبعثات العلمية المشتركة ، وانشاء اقسام للدراسات الافريقية في الجامعات ، وفي الجامعات الافريقية للدراسـات العربية وانشاء مركز افريقي عربي ، للقيام على هذه المجالات .

وبهذا نكون قد بدأنا خطوة صالحة في مطلع القرن الخامس عشر لتحرك اسلامي في تجديد العلاقات مع رقعة هي جزء غال على الامة العربية الاسلامية .



بعض مصادر الدراســة

ابن بطوطـة : تحفة النظار في عجائب الاسفار وغرائب الامصار . فرنسا (أربعة أجزاء).

ابن فودى ، محمد بن عثمان : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق وترجمة فتحي المصري، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٩ .

ادم عبد الله الالوري : الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ الى ١٩٦٠ ، بيروت ١٩٧٩ .

الجمل ، يحيى : الصلة بين الانظمة القانونية الافريقية والانظمة القانونية العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

القلقشندي ، أحمد : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ..

حريز ، سيد حامد : خواطر حول تطوير العلاقات العربية الافريقية في المجال الثقافي ،القاهرة ، ١٩٧٧ .

حسن ، يوسف فضل : انتشار الاسلام وافريقيا ، الخرطوم ، ١٩٧٩ .

خلف الله ، محمد احمد : الجذور التاريخية للعلاقات الثقافية بين العرب والافارقة ، المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

خليفـة الشاطر : الروابط الثقافية بين الوطن العربي وشعوب القـارة الافريقية ، المنظمة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

سعودي ، محمد عبد الغني : مشكلة اللغة في افريقيـا ، المنظمة العربية للتربيـة والثقافـة والعلوم . **القاهرة ، ١٩٧٧ .**

قضايا افريقية (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت .

قاسم ، جمال زكريا : الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ، معهـد البحوث والدراسـات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

الروابط العربية الافريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية ، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ، ١٩٧٧ .

علي ، أبو بكر : الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥٠ الى ١٩٦٠ ، بيروت ١٩٧٢ .

محمد بلــــو : اتفاق الميسور في بلاد التكرور .

محـمد فائـق : عبد الناصر وافريقيا .

الذخيرة السنية ، الرباط ، ١٩٧٢ .